

معنى كلمة لا إله إلا الله

لقد عني أئمة الدعوة رحمة الله ببيان معنى كلمة التوحيد؛ فأفردتها الشيخ محمد بن عبد الوهاب برسالة في جواب سؤال، وتكلم عليها في كشف الشبهات وغيره، و تعرض لها شراح كتاب التوحيد وغيرهم، وإليك ما ذكره الشيخ سليمان بن عبد الله في تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد ص 53 حيث يقول: ومعنى لا إله إلا الله أي لا معبد يحق إلا الله واحد، وهو الله وحده لا شريك له، كما قال تعالى - { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا إِنَّا قَاتِلُونَ } مع قوله تعالى - { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَبَيْوُا الطَّاغُوتَ } . فصح أن معنى الإله هو المعبد، ولهذا لما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - لكافر قريش: { قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ } قالوا: { أَجَعَلَ الْإِلَهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لِتَسْيِءَ عُجَابًا } . وقال قوم هود { أَجِئْنَا لِتَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَتَدَرَّ مَا كَانَ يَعْنِدُ آبَاؤُنَا } . وهو إنما دعاهم إلى لا إله إلا الله، وهذا هو معنى لا إله إلا الله؛ وهو عبادة الله وترك عبادة ما سواه، وهو الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، فتضمنت هذه الكلمة العظيمة أن ما سوى الله ليس بإله، وأن إلهية ما سواه من أبطل الباطل، وإثباتها أظلم الظلم؛ فلا يستحق العبادة سواه، كما لا يصلح الإلهية لغيره، فتضمنت نفي الإلهية عمما سواه، وإثباتها له وحده لا شريك له، وذلك يستلزم الأمر باتخاذه إليها وحده، والنهي عن اتخاذ غيره معه إليها، وهذا يفهمه المخاطب من هذا النفي والإثبات، كما إذا رأيت رجلاً يستفتني أو يستشهد من ليس أهلاً لذلك، ويدعُ من هو أهل له؛ فتقول هذا ليس بمفت ولا شاهد، المفتى فلان والشاهد فلان، فإن هذا أمر منه ونهي، وقد دخل في الإلهية جميع أنواع العبادة الصادرة عن تاله القلب لله بالحب والخصوص، والانقياد له وحده لا شريك له؛ فيجب إفراد الله - تعالى - بها كالدعاء والخوف والمحبة، والتوكيل والإناية والتوبة والذبح والنذر والسجود، وجميع أنواع العبادة، فيجب صرف جميع ذلك لله وحده لا شريك له، فمن صرف شيئاً مما لا يصلح إلا لله من العبادات لغير الله فهو مشرك، ولو نطق بـ لا إله إلا الله؛ إذ لم يعمل بما تقتضيه من التوحيد والإخلاص. ذكر نصوص العلماء في معنى الإله: قال ابن عباس - رضي الله عنه - الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين". رواه ابن حبيب وابن أبي حاتم ذكره ابن كثير في التفسير أول سورة الفاتحة، وقال الوزير أبو المظفر في الإفصاح - قوله: شهادة أن لا إله إلا الله، يقتضي أن يكون الشاهد عالماً بأن: لا إله إلا الله، كما قال الله - عز وجل - { فَاعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ } . وينبغي أن يكون الناطق بها شاهداً فيها، فقد قال الله - عز وجل - ما أوضح به أن الشاهد بالحق إذا لم يكن عالماً بما شهد به، فإنه غير بالغ من الصدق به مع من شهد من ذلك بما يعلمه في قوله - تعالى - { إِلَّا مَنْ شَهَدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } . قال: واسم الله - تعالى - مرتفع بعد (إلا) من حيث إنه الواجب له الإلهية، فلا يستحقها غيره سبحانه، قال: واقتضى الإقرار بها أن تعلم أن كل ما فيه أمارة للحدث، فإنه لا يكون إليها، فإذا قلت لا إله إلا الله، فقد اشتمل نطقك هذا على أن ما سوى الله ليس بإله، فيلزمك إفراده - سبحانه - بذلك وحده. قال: وحملة الفائدة في ذلك أن تعلم أن هذه الكلمة هي مشتملة على الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، فإنك لما نفيت الإلهية وأثبتت الإيجاب لله - سبحانه - كنت ممن كفر بالطاغوت وآمن بالله. وقال أبو عبد الله القرطبي في التفسير: لا إله إلا الله، هو: أي: لا معبد إلا هو. وقال الزمخشري الإله من أسماء الأجناس - كالرجل والفرس - واسم يقع على كل معبد بحق أو بباطل، ثم غالب على المعبد بحق. وقال شيخ الإسلام الإمام هو المعبد المطاع، وقال أيضاً: في لا إله إلا الله إثبات انفراده بالإلهية، والإلهية تتضمن كمال علمه وقدرته ورحمته وحكمته، وفيها إثبات إحسانه إلى العباد، فإن الإله هو المألوه، والمألوه هو الذي يستحق أن يعبد، وكونه يستحق أن يعبد هو بما اتصف به من الصفات التي تستلزم أن يكون هو المحبوب غاية الحب، المخصوص له غاية الخصوص. وقال ابن القيم - رحمه الله - الإله هو الذي تألهه القلوب؛ محبة وإنجلاساً، وإنابة وإنكراماً وتعظيمها وذلاً وخضوعها، وخوفاً ورجاءً، وتوكلًا عليه، وسؤالاً منه ودعاء له، ولا يصلح ذلك كله إلا لله عز وجل؛ فمن أشرك مخلوقاً في شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص الإلهية كان ذلك قدحاً في إخلاصه في قول: لا إله إلا الله، ونقصاً في توحيدك، وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك، وهذا كله من فروع الشرك. وقال البقاعي: لا إله إلا الله؛ أي انتفى انتفاء عظيمًا أن يكون معبد بحق غير الملك الأعظم، فإن هذا العلم هو أعظم الذكرى المنجية من أهوال الساعة، وإنما يكون علمًا إذا كان نافعاً، وإنما يكون نافعاً إذا كان الإذعان والعمل بما تقتضيه، وإن فهو جهل صرف.